(١)
(مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ)

قال ـ سبحانه وتعالى ـ :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾

(النساء:٦٩-٧٠).

إن في طاعة الله ورسوله ـ ﷺ ـ كثيراً من الخير الذي يوفق إليه المؤمن في الدنيا والآخرة . ومن ذلك مرافقة تلك الثلة المباركة من الأنبياء ، والصديقين والشهداء، والصالحين .

ولقد كان لهذه الآية سبب نزول ، يتضح من خلاله

المشاعر الفياضة ، والمحبة المتدفقة من الصحب الأخيار للنبي المختار ـ ﷺ ـ .

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من أهلي ومالي ، وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه النبي ـ ﷺ ـ شيئاً حتى نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ الآية (النساء :٦٩)[1] .

ونقل الواحدي عن الكلبي أنها نزلت في ثوبان مولى رسول الله ـ ﷺ ـ .

(١) الطبراني في الصغير (١/ ٢٦)،وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠٤) و(٨/ ١٢٥)،والواحدي في أسباب النزول (١٠١) ، وذكره شيخنا الوادعي ـ رحمه الله ـ في الصحيح المسند من أسباب النزول ص : ٧٩-٨٠ .

فضل طاعة الله - عزوجل - ورسوله - ﷺ -

من القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فصلت : ٣٠-٣٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الأحقاف :١٣-١٤) .

obeikandl.com

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾(الزلزلة : ٧) .

وقال تعالى :﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾(المزمل:٢٠) .

من السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **(إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشئ أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها،ورجله التي يمشي بها،وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه)** رواه البخاري [١] .

٢- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه -عن النبي -ﷺ -

(١) أخرجه البخاري : (٦٥٠٢).

فيما يرويه عن ربه ـ عزوجل ـ قال: (**إذا تقرب إلي العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً ،وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**) رواه البخاري [١] .

٣- عن عبد الله بن بُسر - رضي الله عنه -قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (**خير الناس من طال عمره وحسُن عمله**) رواه الترمذي [٢] .

٤- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله -ﷺ-: (**إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ،وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، أو أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر ، وعدد الستين والثلاثمائة ، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار**) رواه مسلم [٣] .

(١) أخرجه البخاري : (٧٤٠٥).
(٢) أخرجه الترمذي :(٢٣٢٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم : ١٨٩٨ .
(٣) أخرجه مسلم (١٠٠٧).

٥- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :(من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنه نزلاً كلما غدا، أو راح) متفق عليه [١] .

٦- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أن رسول الله - ﷺ - قال : (بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فيها فشرب ، ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا يا رسول الله : إنّ لنا في البهائم أجراً ، فقال : (في كل كبدٍ رطبة أجر) متفق عليه [٢] .

٧ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : (إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه

(١) أخرجه البخاري : (٦٦٢)، ومسلم :(٦٦٩).
(٢) أخرجه البخاري :(٦٠٠٩) ، ومسلم :(٢٢٤٤) .

خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء ، أو مع آخر قطرة الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب) رواه مسلم [١].

٨- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ،ويرفع به الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله قال :(إسباغ الوضوء على المكارة ، وكثرة الخطا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط) رواه مسلم [٢] .

٩- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - ﷺ - قال : (من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري [٣] .

(١) أخرجه مسلم : (٢٤٤) .
(٢) أخرجه مسلم : (٢٥١).
(٣) أخرجه البخاري : (٧٢٨٠).

تفسير الآية الكريمة :

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ (تفسير القرآن العظيم ١/٥٣٤) :

(أي: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ـ ﷺ ـ، فإن الله ـ عز وجل ـ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.ثم أثنى عليهم تعالى ، فقال: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ ا.هـ .

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي من عند الله (برحمته) وهو الذي أهلهم لذلك لا بأعمالهم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾أي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق)ا.هـ.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ (التفسير ٣/٣٩٧):

(أخبر تعالى أنهم لم ينالوا الفضل بطاعتهم بل نالوها بفضل الله تعالى وكرمه) ا.هـ .

وقال (٣/ ٣٩٧) : (والرفق لين الجانب ، وسمي الصاحب رفيقاً لارتفاقك بصحبته ،ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض) ا.هـ.

فوائد حول الآية :

قال القرطبي في تفسيره (٣/٣٩٧) :

(وفي هذه الآية دليل على خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – وذلك أن الله تعالى لما ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم ،وهم النبيون ثم ثنى بالصديقين ولم يجعل بينهما واسطة ، وأجمع المسلمون على تسمية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – صديقاً كما أجمعوا على تسمية محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسولاً، وإذا ثبت هذا

أو صح أنه الصديق ، وأنه ثاني رسول الله - ﷺ لم يجز أن يتقدم بعده أحد والله أعلم) أ.هـ.

قال الإمام ابن العربي المالكي الأندلسي في (أحكام القرآن ١/٤٩٠) :

(قال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: قال ذلك الرجل، وهو يصف المدينة وفضلها: يبعث منها أشراف هذه الأمة يوم القيامة، وحولها الشهداء أهل بدر وأحد والخندق ، ثم تلا مالك هذه الآية ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الآية.

يريد مالك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ (النساء: ٦٩)،هم هؤلاء الذين بالمدينة ومن حولها، فبين بذلك فضلهم، وفضل المدينة على غيرها من البقاع، مكة وسواها، وهذا فضل مختص بها، ولها فضائل سواها، بينها في

(قبس الموطأ)، وفي (الإنصاف على الاستيفاء) فلينظر في الكتابين) ا.هـ.

لما مرض النبي ـ ﷺ ـ في مرضه الذي مات فيه تلا هذه الآية الكريمة، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بُححة يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية، فظننت أنه خير) رواه البخاري [1].

قال ابن القيم (التفسير القيم:٢١):

(ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريد لسلوك طريق مرافقة فيها غاية العزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرق،وعلى الأنس بالرفيق، نبّه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

(١) أخرجه البخاري :٤٤٣٥.

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه ، فإنهم هم الأقلون قدراً، وإن كانوا الأكثرين عدداً، كما قال بعض السلف: عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولاتغتر بكثرة الهالكين.

وكلما استوحشت في تفردك، فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك) ا.هـ.